نظرية التحدِّي في القرآن الكريم

أ. محمود إدريس موسى العوّامي
الهيئة الليبية للبحث العلمي ـ طرابلس ـ ليبيا
mhmoodqaz198885@gmail.com

تاريخ التقديم: 2024/09/08 تاريخ القبول: 2024/11/10 تاريخ النشر: 2024/11/24

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على معلِّم الناس الخير، والهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه. **وبعد:**

فقد كان العرب قبل نزول القرآن يتكلمون العربية سليمة من اللحن والاختلال معظمين لها مفاخرين الأمم بها، ونزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على قلب نبينامحمد -ﷺ-، قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3]، وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ 193 عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ 194 بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 193-195]؛ فكان فيه ما في هذه اللغة من الظواهر اللغوية التي بلغ بها نهاية البلاغة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

ومع كل ما أوتي العصر الأول من النبوغ البلاغي والشأو البياني فقد أعجزهم كلامالله عن أن يأتوا بمثله فخارت قواهم وحارت أفهامهم أمام ما سمعوا وعلموا من البيان الذي لا يمكن أن ينسب لبشر بحال، ثم ازداد إعجازهم بالتحدّي فكان عجزهم عن الإتيان بمثله أو بعشر سور أو بسورة أو بآية إعجاز في حدّ ذاته. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ: **(نظرية التحدّي في القرآن الكريم)**.

وقد قُسِّم هذا البحث إلى: مقدِّمة، وتمهيد حول موضوع الدراسة وبيان أهميته، وخطَّة البحث، وخاتمة بأهمِّ النتائج.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

- نيل شرف خدمة كتاب‌الله ﷻ والتبرُّك به.
- محاولة تأصيل مسألة التحدِّي والتدرُّج فيها من خلال آيات كتاب‌الله العزيز.
- بيان عظمة هذا الكتاب وأنه من عندالله تعالى فهو معجز بكلّ ما فيه لا قدرة لأحد على تحدِّيه وتجاوزه؛ سواء في القديم أو الحديث أو الآتي.

- **أهمية البحث:**

- إحياء معنى الإعجاز القرآني والتحدِّي به في زمن يشهد تطورًا سريعًا وسباقًا باهرًا في الخوارق والمدهشات لحضاراته المختلفة.
- امتداد الإعجاز الأول في التحدِّي إلى كافة صور الإعجاز الذي يكون التحدِّي فيه مع عوالم الذرَّة والأقمار الصناعية والمراكب الفضائية والتحولات التكنولوجية الإلكترونية المهولة وغيرها من صور التقدّم الحضاري.
- عودة الأُمّة المسلمة إلى المعِين الذي لا ينضب والكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ؛ ففي عودتها لتدبُّر كتاب ربِّها عودة لأمجادها، وجمع لشتاتها.

- **تساؤلات البحث:**

- ما دلالة التحدِّي ومدى علاقته بالإعجاز؟
- ما وجوه التحدِّي واتجاهاته عند العلماء؟
- ما وجه تدرُّج التحدِّي للعرب من‌الله -ﷻ- وما الإعجاز في ذلك؟

- **أهداف البحث:**

- بيان مفهوم التحدِّي وربطه بمعنى الإعجاز.
- فهم وجوه التحدِّي وبيان اتجاهاتها في القرآن الكريم.
- بيان حكمةالله تعالى في تدرُّج آيات التحدِّي.

- **الدراسات السابقة:**

- **الإعجاز العلمي إلى أين؟** (مقالات تقويمية للإعجاز العلمي)، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن

الجوزي، ط:2، 1433هـ.

- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ-2005م.
- **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط:5، 1997م.
- **الإعجاز والتحدِّي دراسة مصطلحية**، المثنَّى عبد الفتاح محمود، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد: 45، عدد:4-2018:259.
- **التحدِّي بالقرآن الكريم**، محسن سميح الخالدي، بحث علمي منشور عبر شبكة المعلومات الإنترنت على الرابط: https://www.alarabimag.com/read/16055 .

- **منهج البحث:**

- الاستناد في هذا البحث على **المنهج الاستقرائي** مع تعذُّر تمام الاستقراء تناسبًا مع مجال البحث.
- استدعاء **المنهج المقارن** بين اتجاهات العلماء المتباينة.

- **منهجية البحث:**

- تثبيت ما ورد الاستدلال به من الآيات القرآنية برواية حفص عن عاصم، بالرسم العثماني، عن طريق مصحف إلكتروني مدرج ضمن مصادر البحث.
- الاكتفاء بتخريج الأحاديث النبوية من الصحيحين أو أحدهما، والتخريج من غيرهما من كتب الحديث في حال عدم ورود الحديث فيهما.
- الاستغناء عن الترجمة للأعلام مراعاة لطول البحث.
- استعمال بعض الاختصارات دلالة على مضامينها، نحو: **(ت)** بمعنى: تحقيق، **(ط)**: طبعة، **(ح)**: حديث رقم، **(ك)**: كتاب، **(ب)**: باب، **(ص)**: صفحة رقم.
- ذكر المصادر مفصَّلة في قائمة المصادر والمراجع آخر البحث، والاكتفاء بذكر عنوان المؤلَّف واسم المؤلِّف مختصرين في الهوامش.

ثالثا: خطة البحث:

قُسِّم البحث إلى: مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة.

- **المطلب الأول: نظرية التحدي وصورها.**

- الفرع الأول: تعريف مصطلحي: (**التحدِّي والإعجاز**) لغةً واصطلاحًا.
- الفرع الثاني: صور التحدِّي في القرآن الكريم.

- **المطلب الثاني: اتجاهات إعجاز التحدِّي في القرآن ووجوهها.**

- الفرع الأول: اتجاهات التحدِّي عند العلماء.
- الفرع الثاني: وجوه التحدِّي عند العلماء.

- **المطلب الثالث: تطبيق على آيات التحدِّي بالمجيء بالقرآن.**

- الفرع الأول: آيات التحدِّي في القرآن الكريم.
- الفرع الثاني: إعجاز التحدِّي من خلال آيات المجيء بالقرآن.

- **خاتمة بأهم النتائج**
- **قائمة المصادر والمراجع**
- **فهرس المحتويات**

تمهيد

مما هو جلي واضح أن ربنا وتبارك تحدى العرب بالقرآن –بالإتيان بمثله أو ببعضه– بناء على ما كان معلوما مشهورا عندهم؛ "فمن عادة القوم أن يتحدى بعضهم بعضا في مقارضة الشعر، وتدبيج الخطب، فهذه عادتهم فيما بينهم؛ ثقة منهم بملكتهم الأدبية، وما طبعوا عليه من تدفق شاعريتهم، وذلاقة ألسنتهم"[1].

وقد تحدى الله –ﷻ– كل قوم فيما برعوا فيه وعدوه موضع فخرهم، فتحدى قوم فرعون بآيات بآيات تفوق السحر الذي كانوا بارعين فيه، وتحدَّى قوم عيسى –عليه السلام– بآيات تفوق براعتهم في الطب الطب الذي كانوا يمارسونه ويعتزون بإتقانه، فأعطاه القدرة على نفخ الحياة في الطين، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ ليستيقنوا أنه من عندالله. فلما بعث الله الرسول الخاتم –ﷺ– في العرب، كان كان من المناسب أن تكون الآية التي يتحدى بها المنكرين فصاحة من نوع ودرجة لا يقدرون على الإتيان بمثلها، لتستيقنها أنفسهم ولو جحدوا بها ظاهرا كقوم فرعون[2]. "فالإعجاز بالقرآن آية دالة على صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي"[3]. وكان من كرمه **سبحانه وتعالى** لهذه الأمة أن جعل معجزتها خالدة باقية لا يفنيه الدهر ولا تزول مع تداول الأيام والحقب.

يقول القاضي عبد الجبار في كتابه المغنى: "إنه تعالى خص رسوله بالقرآن من حيث ختم به النبوة، وبعثه إلى الناس كافة، وجعل شريعته مؤيدة، لأن غيره من المعجزات كان يجوز أن يدرس على الأوقات (أي: يختفي مع الزمن)، ويضعف النقل فيه، وذلك لا يتأتى في القرآن"[4].

1() التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ص147.

2() لا يأتون بمثله، مُحَمَّد قطب، ص8.

3() ينظر: التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، 41/1.

4() المغني، القاضي عبد الجبار، 165/16.

المطلب الأول: نظرية التحدي وصورها

لا بُدَّ للناظر في نظرية التحدّي في كتاب الله تعالى أن يحد النظر في الترادف والتوافق بين دلالات لفظي: التحدي والإعجاز، حتى يتسنى له تذوق وفهم صور التحدي والإعجاز في هذا الدستور العظيم.

الفرع الأول: تعريف مصطلحي: (التحدي والإعجاز) لغة واصطلاحا.

التحدّي لغة: المباراة والمبارزة، تحديت فلانا: إذا باريته في فعل ونازعته الغلبة، وتحدى الرجل: تعمده، وتحداه: بارَاهُ[1].

التحدّي اصطلاحا: طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة، ويتحدد المثل تبعا لما يتحدى يتحدى به[2]، وقد ضمّ العلماء لفظ التحدي للفظ الإعجاز وجعلوه فرعا منه[3]، وذكر ذلك السيوطي في تعريف المعجزة فقال: "المعجزة: فعل من أفعال الله خارق للعادة مقترنا بدعوى النبوة موافقا لدعواه عند التحدي مع عدم المعارضة"[4]. فجعل التحدي شرطا من شروط المعجزة.

الإعجاز لغة: عجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزا، ويقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا، والإعجاز لغة مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز، بمعنى: الفوت والسبق[5]، والعجز أصله التأخر عن الشيء[6].

الإعجاز اصطلاحا: أمر خارق العادة مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة[7]، وعلى ذلك فقد تبين مدى الترابط الوثيق وعدم الانفكاك بين الإعجاز والتحدّي، وبالتحدي تقوم دلالة الإعجاز لتكشف عجز المتحدَّى عن وجه التحدّي.

الفرع الثاني: صور التحدي في القرآن الكريم.

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة:(حدا)، 168/14.

(2) التحدي بالقرآن الكريم، محسن سميح الخالدي، ص3.

(3) الإعجاز والتحدي دراسة مصطلحية، المثنى عبد الفتاح محمود، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد: 45، عدد:4-2018:259.

(4) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، ص74. وينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص149.

(5) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: (عجز)، 370/5.

(6) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص547.

(7) معجم الألفاظ الكونية في القرآن والسنة، إسماعيل القرشي، مجلة الإعجاز، العدد الثالث، ربيع الثاني، 1418هـ، ص60.

تنوعت صور تحدي القرآن في أوجه متعددة أهمها:

الوجه البياني: وما فيه من فصاحة وبلاغة وبيان عال، وهو رأي جماعة كثيرة، أن أصل إعجاز القرآن الإعجاز البياني البلاغي، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر[1]، وبيَّن ذلكمُحَمَّد الغزالي حيث قال قال في كتابه إعجاز القرآن –بعد أن ذكر وجوها للإعجاز–: "والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"[2].

الوجه العلمي: بإخبار القرآن الكريم بحقيقة أو حقائق أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي –ﷺ–[3].

الوجه التشريعي: فقد حمل القرآن في آياته من التشريعات ما هو معجز الإتيان، حيث به استقامة البشرية وإقامة شؤونهم ورعاية مصالحهم وحفظ حقوقهم وإمكانية تعايشهم مع اختلاف أديانهم وأعرافهم، إضافة إلى صلاحية هذا التشريع لكل زمان ومكان.

وجه الإخبار بالغيبيات: وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه. فمن ذلك ما وعدالله الله تعالى نبيه –عليه السلام–، أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]، ففعل ذلك وهو خاص بما يتعلق به أمر أخبار الغيب التي جاء بها القرآن، يصف ذلك الخطابي –نقلا عمن تكلموا في الإعجاز القرآني– قائلا: "إن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه: ﴿الٓمٓ (1) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (2) فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ (3) فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: 1-4]، وكقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الفتح: 16]، ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها. قلت: ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه"[4].

وجه الإخبار بالماضي: من ذلك ما أعلمهم به القرآن من خلق آدم، وخلق السَّموات والأرض في ستة أيام، وأنهما كانتا رتقا ففتقهماالله، وغير ذلك مما استجد في علم البشرية بإخبار القرآن فحسب ولم يكن لهم علم قبل ذلك.

---

(1) بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي، ص64.

(2) إعجاز القرآن، مُحَمَّد الغزالي، ص29.

(3) معجم الألفاظ الكونية في القرآن والسنة، إسماعيل القرشي، مجلة الإعجاز، العدد الثالث، ربيع الثاني، 1418هـ، ص60-61.

(4) بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي، ص63.

الوجه العام (وجه الإتيان بالمثل): وذلك جلي واضح في الآيات والسور التي تحدى بهاالله قريشا ليأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة أو بآية. وسيأتي الحديث عنه إن شاءالله.

فكل هذه الأوجه تندرج تحت الخلاف الأول والأساس في مسألة نظرية التحدي والإعجاز، وهل إعجاز القرآن لمن تحداهم من وجه نظم القرآن؟، أم من وجه بلاغته؟، أم من وجه الصرفة؟ وسنتناول ذلك في اتجاهات إعجاز القرآن في المبحث التالي.

وينبغي الإشارة إلى أن الأوجه التي ذكرت ليست كل أوجه الإعجاز؛ فأوجه الإعجاز كثيرة لا حصر لها؛ وإنما هذه أشهرها.

المطلب الثاني: اتجاهات إعجاز القرآن ووجوهها.

الفرع الأول: اتجاهات الإعجاز عند العلماء.

اهتم الدارسون لعلوم القرآن اهتماما واسعا بعلم إعجاز القرآن ومحاولة فهم وجوه الإعجاز فيه، فتنوعت وجهات نظرهم، واختلفوا في ذلك منذ بداية التصنيف في هذا العلم في القرن الثالث الهجري وإلى يومنا هذا، وكان لهم في ذلك اتجاهات مختلفة؛ أبرزها ثلاثة اتجاهات:

أولا: الاتجاه القائل بالصرفة:

ينسب القول بالصرفة ابتداء لأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام الذي يرى أن إعجاز القرآن والتحدي القائم به في كون صرف الله للناس عن معارضته ومباراته، فسلب منهم -ﷻ- القدرة والاستطاعة عن بلوغ هذا العمل. يقول النظّام: "إنالله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة؛ بل بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام، والعرب إنما لم يعارضوه؛ لأنالله صرفهم صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به"[1].

وقد رد عليه في ذلك كثيرون؛ من بينهم مصطفى صادق الرافعي حيث قال: "فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الإعجاز كان لصرفة، وهي أنالله صرف العرب عن معارضة معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للمادة، قلنا: وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن"[2]، ويقول: ".. وإلا فإن من سلب القدرة على شيء بانصراف وهمه عنه، وهو بعد قادر عليه مقرن له، لا يكون تعجيزه بذلك في البرهان إلا كعجزه هو عن البرهان، إذ كان لم يعجزه عدم القدرة"[3].

وقد ذكروا وجوها لبيان فساد منهج القائلين بالصرفة بالدلائل القرآنية والوقائع الحقيقية والموازنات التاريخية وغيرها[4]، ففي هذا الاتجاه تهوينٌ لأمر القرآن العظيم -وإن لم يقصد أصحابه ذلك- ذلك- ورفع شأن أهل اللغة والبيان ليصلوا بجودة بيانهم إلى القرآن، وإنما صُرفوا بعد أن بلغوا ووصلوا

---

(1) مقالات الطناحي في التراث والتراجم والأدب، محمود محمّد الطناحي، دار البشائر، 272/1، وينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمّد بن الحسين الرازي.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص144.

(3) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص145.

(4) ينظر: قضية الإعجاز القرآني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ص72 وما بعدها، والقرآن والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، ص155 وما بعدها.

لحد الإتيان بالمثل، وهذا متعذّر مشين في بيان معاني وقوع التحدي، فالتحدي يكون معجزا مع الفرصة لا مع الصرفة؛ وإنما جاء قول بعضهم بالصرفة من وجه رأيهم في القرآن بالخلق، فالمخلوق يعتريه النقص، النقص، وحاشى النقص من كلام الخالق سبحانه وتعالى،والله أعلم.

ثانيا: الاتجاه القائل: القرآن معجز ببلاغته:

هذا مذهب غير واحد من أهل العلم الذين نظروا بتفحص وتدقيق في علم الإعجاز القرآني وألفوا فيه التصانيف، ووصلوا إلى أن البلاغة العالية التي أتى بها القرآن هي وجه الإعجاز فيه، وهي مناط التحدي الذي عجز عنه من سلف ومن سيخلف.

فالقرآن في بلاغة واحدة كله، ولا تفاوت بينه كما يقع من التفاوت في بلاغة الشعراء، أشار إلى ذلك ابن قتيبة فقال عن القرآن إنه: "جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه"[1]، ووجه التحدي في نظر أصحاب هذا الاتجاه جاء من جهة أن العرب أهل كلام وفصاحة وبيان وبلاغة فكان التحدي والإعجاز من ذات الوجه [2].

ويقسمون البلاغة إلى ثلاثة أقسام: الأعلى، والأدنى، وما هو وسط بين الأعلى والأدنى، وشرحوا كل طبقة، ورأوا أن أعلى طبقة هي المعجز، وهي بلاغة القرآن وما دون ذلك فهي بلاغة البلغاء[3].

ثالثا: الاتجاه القائل: القرآن معجز بنظمه:

ينسب لأبي عثمان الجاحظ أنه أول من ألف في هذا الاتجاه ومال إليه ونصره ودافع عنه في كتابه: (نظم القرآن)[4] وهو ما توجه إليه الخطابي من بعده حيث يقول: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه،

1() تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، ص11.

2() تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، ص16.

3() النكت في إعجاز القرآن (مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ص75.

4() من الكتب المفقودة، جاء ذكره في كتابه الحيوان، انظر: الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، 41/3.

مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلاتالله بمن عصى وعاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة في في الأعصار الباقية من الزمان، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به، ونهى عنه" [1].

وأثرى الباقلاني هذا الاتجاه القائل بنظم القرآن بعد استقراء واسع لمن سبقه في التصنيف في إعجاز القرآن[2]، وتبعه على ذلك غيره في كل جيل، قال مُحَمَّد الغزالي في كتابه إعجاز القرآن -متحدِّثا عن نظمه-: "وهو الذى بيناه من الاعجاز الواقع في النظم والتأليف والرصف، فقد ذكرنا من هذا الوجه وجوها: منها: أنا قلنا: إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم. ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر، ولا السجع، ولا الكلام الموزون غير المقفى، لان قوما من كفار قريش ادعوا أنه شعر. ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعرا" [3].

الفرع الثاني: وجوه الإعجاز عند العلماء.

اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك فذهبت طائفة قليلة إلى تعليله بأنالله صرفهم عن معارضة القرآن فسلبهم المقدرة أو سلبهم الداعي لمعارضة القرآن أو تحديه بالإتيان بمثله[4].

وإنما وقع التحدي بسورة، أي: وإن كانت قصيرة، دون أن يتحداهم بعدد من الآيات؛ لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض، وقد جعل شرف الدين الطيبي هذا هو الوجه لإيقاع التحدي بسورة دون أن يجعل بعدد من الآيات. وإذ قد كان تفصيل وجوه الإعجاز لا يحصره المتأمل كان علينا أن نضبط معاقدها التي هي ملاكها، فنرى ملاك وجوه الإعجاز راجعا إلى ثلاث جهات:

---

(1) بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي، ص27-28.

(2) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص70.

(3) إعجاز القرآن، مُحَمَّد الغزالي، ص44.

(4) رأي أبي إسحاق النظّام وقال به جماعة على رأسهم ابن حزم الظاهري القائل: "وأما نظم القرآن، فإن مُنزلَه تعالى منع مِن القدرة على مثله، وحال بين البلغاء وبين المجيء بما يشبهه" انظر: التقريب لحد المنطق، ابن حزم الظاهري، ص205. وانظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 93/2.

الجهة الأولى: بلوغه الغاية القصوى مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة ونكتا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيده أصل وضع اللغة، بحيث يكثر فيه ذلك كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء من شعرائهم وخطبائهم.

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يكن معهودا في أساليب العرب، ولكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكمية والإشارات إلى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصور بعده متفاوتة، وهذه الجهة أغفلها المتكلِّمون في إعجاز القرآن من علمائنا مثل أبي بكر الباقلاني، والقاضي عياض[1].

1() التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، 104/1.

المطلب الثالث: تطبيق على آيات التحدِّي بالمجيء بالقرآن.

الفرع الأول: آيات التحدِّي في القرآن الكريم.

تعدَّدت مراحل التحدِّي وتنوَّعت مراتبه فجاءت آيات التحدِّي في القرآن الكريم كالآتي:

أولا: التحدي الأول جاء بطلب الإتيان بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: 34].

ثانياً: لما عجزوا أن يأتوا بمثل القرآن كاملا مماثلا؛ كان التحدي بالإتيان بعشر سور مثله. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: 13-14].

ثالثاً: ثم لما عجزوا ثانية ولم يستطيعوا، فخفف التحدّي عنهم، فطلب منهم المجيء بسورة واحدة من مثل سور القرآن، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].

رابعاً: فلما عجزوا عن المجيء حتى بسورة واحدة مثل سور القرآن تماما؛ تحدّاهم الله وكانت المرّة الأخيرة أن يأتوا بسورة تشبه القرآن، ولو من وجه من الوجوه، فقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23-24].

وفي ذلك يقول الزركشي في البرهان: "واعلم أن النبي -ﷺ- تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا افتراه فأنزل الله -عَجَّلَ- عليه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: 13]، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تشاكل القرآن قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ ثم كرَّر هذا فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾؛ أي: من كلام مثله وقيل من بشر مثله ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، فقد ثبت أنه تحداهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر، وتارة قالوا: أساطير الأولين. كل ذلك من التحير والانقطاع"[1].

---

(1) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 91/2.

الفرع الثاني: إعجاز التحدي من خلال آيات المجيء بالقرآن

1- إنّ هذه المراحل كلها جاءت تعلن التحدّي بكل قوة وثقة.

2- إن المراحل الثلاث الأولى كلّها مكية التنزيل، فإن الآية الأولى من سورة الطور، والثانية من سورة هود، والثالثة من سورة يونس، أمّا الآية الرابعة فهي مدنية وهي من سورة البقرة.

3- إنّ المراحل الثلاث الأولى خوطب بها العرب؛ لأنّهم هو المتحدّون في هذه السور الثلاث، أمّا المرحلة الرابعة فقد خوطب بها الناس جميعاً.

4- إنّ المراحل الثلاث الأولى مختلفة من حيث الأسلوب عن المرحلة الرابعة، ففي المرحلة الأولى: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾، والثانية: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾، والثالثة: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، أمّا الرابعة فجاء الأسلوب فيها: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، ونلحظ أن ﴿مِّن﴾ لم تذكر إلّا في المرحلة الرابعة. فالتحدّي في المراحل الثلاث كان للعرب، والعرب كان البيان بضاعتهم والبلاغة سجيتهم، أمّا المرحلة الرابعة فالمخاطب بها الناس جميعاً عربهم وعجمهم، لذا جاءت مشتملة على الحرف الدال على التبعيض، فلا يعقل أن يتحدّى الناس جميعهم بالبيان وحده؛ وإنّما هو تحدٍ عام عموم المخاطبين به[1].

وللجاحظ كلام نفيس يشير فيه إلى أن تحدي القرآن للعرب وعدم محاولتهم الرد على هذا التحدي "يدلّ العاقل على أن أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين:

1- إما أن يكونوا عرفوا عجزهم، وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم، فرأوا أن الإضراب عن ذكره، والتغافل عنه في هذا الباب وإن قرعهم به، أمثل لهم في التدبير، وأجدر ألا يتكشف أمرهم للجاهل والضعيف، وأجدر أن يجدوا إلى الدعوى سبيلا، وإلى اختداع الأنبياء سببا، فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه، وهو قوله عز ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31] وإما أن يكون غير ذلك.

ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها"[2].

فلما تحداهمالله به عرفوا عجزهم عن الإتيان بمثله، فاتجهوا إلى محاربته بأنفسهم وأموالهم، مع أنه أنه قد طلب منهم ما هو أقل من ذلك، وهو معارضة هذا القرآن[1].

---

(1) ينظر: بحث منشور على شبكة المعلومات الإنترنت بعنوان: **(مادة الإعجاز القرآني)**، على الرابط: https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/9/9_2021_03_05!10_17_45_AM.pdf

(2) رسائل الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ، 275/3.

وفي ذلك يقول الجرجاني: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شانها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول"[2].

يقول عبدالله خضر: "حقا إنهم قد عرفوا عجزهم عن ذلك ولكن ما المانع من تكرار تسجيل ذلك عليهم مرة تلو المرة حتى يستدعي ذلك انتباههم، وحتى يذكرهم بعجزهم وضعفهم، ثم إنك تجد من مدلولات هذا التكرار استمرارية التحدي، ألم تر أنالله تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، وتحداهم أن يأتوا يأتوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، وكل ذلك لإظهار عجزهم مع أنهم يعلمون من أنفسهم ذلك العجز. وهنا ضرب آخر لتبكيتهم وإظهار عجزهم، وهو أن يذكر هذه الحروف احتجاجا عليهم، فإن فيها تنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، فهم قادرون عليها، فكان واجب عليهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فعجزهم دال على أنه من عندالله"[3].

=

1() الإعجاز العلمي إلى أين؟ (مقالات تقويمية للإعجاز العلمي)، مساعد بن سليمان الطيار ص51. وينظر ذات المعنى: بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص19.

2() دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (1/ 39).

3() الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، عبد الله خضر حمد، 28/2.

خاتمة بأهم النتائج

تتلخص نتائج هذا البحث في الآتي:

1- أنالله تبارك وتعالى تحدَّى قريشًا والعرب بجنس ما برعوا فيه وهو البيان والبلاغة.

2- أنَّه سبحانه تحدَّاهم بالتدرُّج معهم على سبيل التعجيز وإثبات عدم القدرة.

3- أنَّه سبحانه أعجزهم بأدنى وأقلّ ما يمكن التعجيز به وهي الآية؛ فتحدَّاهم بالإتيان بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة، أو بآية؛ ومع ذلك عجزوا عن التحدِّي.

هذاوالله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**، برواية **حفص عن عاصم الكوفي**، الرسم **العثمانيّ**، طبعة مصحف المدينة المنوَّرة، من المكتبة الشاملة، الإصدار الرابع والتحديث الأخير لها.

1. **الإعجاز العلمي إلى أين؟** (مقالات تقويمية للإعجاز العلمي)، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط:2، 1433هـ.
2. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ- 2005م.
3. **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط:5، 1997م.
4. **إعجاز القرآن**، مُحَمَّد الغزالي.
5. **الإعجاز والتحدي دراسة مصطلحية**، المثنى عبد الفتاح محمود، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد: 45، عدد:4-2018:259.
6. **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين الزركشي، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية.
7. **بيان إعجاز القرآن**، أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي، ت: مُحَمَّد خلف، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، ط:3، 1976م.
8. **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة الدينوري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. **التحدِّي بالقرآن الكريم**، محسن سميح الخالدي، بحث علمي منشور عبر شبكة المعلومات الإنترنت على الرابط: https://www.alarabimag.com/read/16055
10. **التحرير والتنوير** (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية- تونس، 1984م.
11. **التعبير الفني في القرآن**، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط: 3، 1399هـ- 1979م.
12. **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية**، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الظاهري، ت: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط: 1، 1900م.
13. **الحيوان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.
14. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الجرجاني، ت: محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة- جدة، ط: 3، 1413هـ- 1992م.
15. **رسائل الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ- 1964م.
16. **القرآن والدراسات الأدبية**، نور الدين عتر، إصدارات جامعة دمشق، سوريا، 1431هـ- 2010م.
17. **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية**، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتاب، بيروت، ط: 1، 1405هـ- 1985م.
18. **الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية**، عبد الله خضر حمد، دار القلم، بيروت، ط:1، 1438هـ- 2017م.
19. **الكليات**، أبو البقاء الكفوي، ت: عدنان درويش و مُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1419هـ- 1998م.

20. **لا يأتون بمثله**، مُحَمَّد قطب، دار الشروق، مصر – القاهرة، ط1، 1422هـ – 2002م، ص8.
21. **لسان العرب**، ابن منظور مُحَمَّد بن مكرم الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط:3، 1414هـ..
22. **مادة الإعجاز القرآني**، بحث منشور على شبكة المعلومات الإنترنت على الرابط: https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/9/9_2021_03_05!10_17_45_AM.pdf
23. **معجم الألفاظ الكونية في القرآن والسنة**، إسماعيل القرشي، مجلة الإعجاز، العدد الثالث، ربيع الثاني، 1418هـ..
24. **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، أبو الفضل جلال الدين السيوطي، ت: مُحَمَّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط:1، 2004م.
25. **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي، ت: مُحَمَّد مصطفى وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
26. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، دمشق، ط1، 1412هـ..
27. **مقالات الطناحي في التراث والتراجم والأدب**، محمود مُحَمَّد الطناحي، دار البشائر، بيروت، ط1، 1422هـ..
28. **النكت في إعجاز القرآن** (مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ت: مُحَمَّد خلف الله، مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، 1976م.
29. **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، فخر الدين مُحَمَّد بن الحسين الرازي، دار صادر، ط1، 1424هـ – 2004م.

محمود إدريس موسى العوَّامي. مواليد 1988م. بنغازي. ليبيا (mhmoodqaz198885@gmail.com)
بكالوريس دراسات إسلامية بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة بنغازي.2010م.
دبلوم تمهيدي -ماجستير- في الدراسات الإسلامية بكلية الآداب/ جامعة بنغازي 2012م.
ماجستير في الفقه الإسلامي بقسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بالأكاديمية الليبية – مصراتة 2021م.
دبلوم الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) بقسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بالأكاديمية الليبية – مصراتة 2023-2024م. .
حالياً عضو هيئة تدريس بالهيئة الليبية للبحث العلمي – طرابلس. ليبيا.